بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم البحث

لهذا الكتاب الذى بين يدى القارىء قصة !!

أثناء عملى فى رسالة الدكتوراه ، كان لدى أجزاء متفرقة منه جمعتها ورتبتها ، وأكملت الناقص منها ، ونقصت الزائد فيها ، وأعددتها للنشر .

ولما أعلن المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالمغرب عن مسابقته الأولى سنة ١٩٧٠ م تقدمت بالبحث المعد لدى إلى المسابقة ، ففاز بإحدى الجوائز الثلاث التى منحها المكتب فى هذه الدورة من المسابقة ، ونشرته مجلة « اللسان العربى » المغربية مفرقاً فى مجلديها الثامن والتاسع .

ثم أصدرت كتاباً فى نهاية عام ١٩٧٤ م بعنوان (فى اللغة ودراستها) خصصت فيه فصلا لهذا البحث بعد أن قمت بإعادة النظر فيه مرة أخرى ، استهدفت تعديل خطته ، بحيث يدرس كل موضوع من موضوعاته بصورة متكاملة تجمع بين ما قيل عنه قديماً وحديثاً ، متدرجاً فى ذلك من دراسة التراث إلى الدراسة اللغوية الحديثة ، ومن آراء النحاة حول كل موضوع إلى الرأى فيه الآن — كما حاولت جهد ما أستطيع أن أخرجه بطريقة مقبولة ، يسيغها المثقف العادى والمتخصص على السواء .

لكن هذا البحث تاه فى ثنايا هذا الكتاب ، لأن عنوانه عام يمكن أن يندرج تحته كل شىء وأى شىء يتعلق باللغة ، وقد ضم ثلاثة بحوث غير هذا البحث ، ووجد الجميع لهم مكاناً تحت مظلة هذا العنوان الشامل الفضفاض (فى اللغة ودراستها) .

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك قضية لغوية مهمة تتعلق بموضوعات

هذا البحث تشغل ذهنى وهى قضية (المصطلح العلمى العربى) ومافى اللغة من وسائل للحصول عليه،من توليد الألفاظ والاشتقاق من أسماء الأعيان ، والمصادر القياسية ، وكذلك جهود النحاة لإخضاع المعرب لمسلك الصيغ العربية .

لذلك قمت بالدراسة الخاصة « بالمصطلح العلمى العربى» وراجعت الآراء المفيدة السديدة عن هذا الموضوع فى كتب النحو والصرف القديمة،والجهود الدائبة الطيبة لمجمع اللغة العربية حول هذا الموضوع فيما يقرب من نصف قرن من الزمان ، بهدف جعل اللغة العربية صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة، ومساعدة المتخصصين فى تلك العلوم على « التعريب » بدلا من الهروب منه إلى « التغريب »

وقد تهيأ لى من ذلك كله ما كتبته عن هذا الموضوع ، فضممته إلى البحث السابق ، بعد مراجعته وتنقيحه مرة أخرى ، وفضلت إعادة نشر ذلك كله بالعنوان الذى تجده ـ أيها القارىء ـ على غلاف هذا الكتاب .

وقد جعلت لكل من اللحن والتصحيف والتوليد والتعريب فصلا خاصاً به ، وأردفت الفصول الأربعة بفصل خامس عن « المصطلح العلمى العربى ـــ وسائله اللغوية وصياغته العربية » وعلاقته قوية بكل من التوليد والتعريب .

إن كل ما ضمه هذا الكتاب فى فصوله الخمسة يوصف بأنه من « المظاهر الطارئة على الفصحى »

فاللحن أمر قد طرأ على العرب الفصحاء ، وبدأ متفرقاً قليلا ، ثم استفحل أمره ، فغزا الألسنة والأمصار، وقاومه العلماء بالتثقيف والتأليف والرحلات للبادية والمشافهة ، لكنه كان أقوى من كل القيود والسدود ، فاكتسحت موجاته العالية فى طريقها كل شىء .

والتصحيف من ضعف الأساس فى الرسم العربى ، لكنه تسرب إلى النطق وترتبت عليه أخطاء شائنة فى حروف الكلمات وشكلها وبنيتها بل فى الإعراب أيضاً ، وقد قاومه العلماء بالشكل والإعجام والمشافهة ، لكنه بقى حتى اليوم مصدر خطر على القارئين والناطقين على السواء .

والألفاظ المولدة مما استحدثه النابتة من الموالى بين العرب ، سواء منها ما كان له أصل عربى أو ما عرب بعد عصر الاستشهاد باللغة ، ومع أنه فى كثير من جوانبه مصدر ثراء للغة ، لكنه فى رأى النحاة لا يستشهد به ، وحكموا عليه — فى بعض ما ورد عنهم من نصوص — بأنه ليس من كلام العرب .

وقد توالت جهود النحاة فى إخضاع الكلمات المعربة فى عصر الاستشهاد لمسلك الصيغ العربية ، باعتبارها مظهراً دخيلا على العربية الخالصة ، وتعددت الاتجاهات التى بذلوا فيها جهودهم فى البنية والإلحاق وعلامات المعرب ، لكنها — فى مجموعها — لم تؤد إلى نتائج نهائية حاسمة .

بل إن مشكلة « المصطلحات العلمية » اعتبرت مظهراً جديداً على اللغة الفصحى حين اتسع مجال الثقافة العربية ، وكثرت المترجمات من اللغات الأخرى إلى العربية ، ونقل الفلاسفة والأطباء وعلماء الهندسة والطبيعة والكيمياء وسائر العلوم كثيراً من الألفاظ الأجنبية للمصطلحات العلمية وقد أقلقت هذه الظاهرة علماء اللغة ، فامتنع مؤلفو المعاجم — ما عدا القاموس فيما أعلم — عن تسجيل تلك الكلمات فى معاجمهم ، باعتبارها خطراً يهدد اللغة بالأجنبى الدخيل باسم العلم .

وقد انتقلت هذه المشكلة إلينا الآن بنفس ظروفها القديمة ، إذ نشطت حركة « تعريب العلوم » ، ومن أهم الصعوبات التى تواجه العلماء فى ذلك

« المصطلح العلمى العربى » وتردد العلماء فيه بين الترجمة والتعريب ، وهنا يأتى دور اللغة — فإذا ترجمت المصطلحات ، فنحن فى حاجة إلى الوسائل اللغوية التى تساعد المترجم فى الحصول على المصطلح العربى المناسب ، وإذا عُرِّبت كنا أمام خطر الدخيل الذى يغزو اللغة العربية ، وكنا فى حاجة لطرق الصياغة التى يخضع لها اللفظ المستورد ، فتجعله مقبولا فى الاستعمال العربى ، خفيف الوقع على الأذن العربية .

هذه هى المعادلة الصعبة التى ساهمت بالرأى فيها فى هذا الكتاب ، ولست أزعم أننى قدمت الحل الحاسم محمولا على طبق من ذهب أو من فضة ، بل أشرت إلى الحل ، وساهمت فيه على قدر جهدى ، ملتزما الجانب الذى أعرفه ، وهو الجانب اللغوى من حيث الوسائل والصياغة ، وللمسألة جوانب أخرى تنتظر من يساهم فيها من أهلها المتخصصين .

وفى كل من فصول هذا الكتاب يتدرج درس الموضوع فى مستويين :

الأول : استقراء ما ذكره علماء اللغة الأقدمون من الآراء والمسائل عن أهم جوانب الموضوع من خلال ما ضمته المصادر القديمة فى النحو والصرف والمعاجم وغيرها ، مما يحتاجه الدرس والاستقصاء والترتيب وبناء الفكرة .

الثانى : ذكر الرأى فى تلك الموضوعات دون غلو أو شطط ودون تطاول أو تعالم ، فأنا — وأقولها بإخلاص — ممّن يعرفون لعلمائنا الأقدمين قدرهم فى البحث والدرس ، وممن يحترمون الثروة العلمية الشامخة والراسخة التى تركوها خلفهم بالجد والاجتهاد .

ويترتب على ذلك أن ما قدمته من رأى — اعتمد غالباً على الدرس

اللغوى الحديث — فى بعض أفكار هذا الكتاب أمر لا أفرضه على أحد ، فمن شاء فليقبل ما رأيت ، ومن شاء فليرفض ، وله أن يتوقف عند حدود ما قدمته من آراء علمائنا الأقدمين ، وخلاه ذم ! !

وفى بعض فصول هذا الكتاب — كاللحن والتصحيف والتعريب — ذكرت أهم ما ألف عن كلّ منها من كتب قديمة وحديثة — مما دخل فى إمكانى معرفته — ورتبتها تاريخيا فى جدول واحد ، واطلعت عليها بهذا الترتيب ، مما كان له فائدته فى خدمة أفكار هذا الكتاب ، ولمن شاء من القراء أن يفيد من تلك المؤلفات ، ليدرس بعض موضوعاته مستقلا عن هذا الكتاب ومؤلفه .

لقد استغرق إعداد هذا البحث وإخراجه فى صورته النهائية سنين طوالا ، وأطول منها وأعمق ما وراء هذه السنين من معاناة للفكر والشعور اللذين صنعا من الجزئيات المتناثرة صورة متماسكة الأعضاء ، متكاملة الملامح والقسمات ، راجياً أن يجد فيه قارئه ما يفيد .

وإننى لأهب ما بذلت فيه من جهد لوجه الله الكريم ، ولعله يكون من أعمالى الصالحة المضيئة فى أخراى (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم)

١٦ من أبريل ١٩٨٠ م — محمد عيد